رعاية الأرامل في المنظور الإسلامي

أ. د. أنس عصام اسماعيل / مركز احياء التراث العلمي العربي
البريد الالكتروني: draa6864@yahoo.com

ملخص البحث :

تناول هذا البحث مشكلة زيادة عدد الأرامل في العراق والنسب العددية المخيفة التي وصلت إليها، والتي لازالت في زيادة مستمرة، واهتمام الإسلام بموضوع الأرامل والأيتام، والآيات والأحاديث التي اشادت بمن يرعاهما والأجر العظيم لكافل الأرملة واليتيم، واهم السبل المؤدية إلى تخفيف معاناة الأرملة ماديا ونفسيا، وأهم سلبيات وإيجابيات تعدد الزوجات لاسيما في عصرنا الراهن، وما يتعلق بهذا الموضوع من قضايا اجتماعية واقتصادية ودينية ونفسية، ثم بعد ذلك أهم النتائج والتوصيات التي توصل إليها الباحث.

الكلمات المفتاحية

أ- رعاية لغة :- من الفعل ارعى , قد ارعى الله الماشية اي انبت لها ما ترعى , وقد ارعيت عليه , وقد رعيت الماشية ارعاها رعياً , وقد رعيت حرمته رعاية .(ابن السكيت، ٢٠٠٢، ص ١٧٣)

رعاية اصطلاحاً :- العناية بالشيء والقيام علية واصلاح اعوجاجه(من موقع الشبكة العنكبوتية www.saaid.net)

ب- الارامل لغة :- من الفعل ارمل بمعنى افتقر والارامل المساكين من جماعة رجال ونساء ويقال لهم الارامل وان لم يكن فيهم نساء ويقال جاءت ارملة من النساء

والرجال المحتاجين وقد ارمل القوم اذا نفذ زادهم وعام ارمل قليل المطر وسنة رملاء (ابن السكيت، ٢٠٠٢، ص٢٣٣)

ج- الارامل اصطلاحاً :- من مات زوجها وسميت ارملة لافتقارها الى من يعيلها ويقال للرجل ارمل وللمرأة ارملة , والجمع ارامل , ورملاوات (الزمخشري، ١٩٩٨، ص ١٨٠)

.

الفصل الاول

مقدمة: ان الاسلام دين العدل والمساواة، ساوى بين جميع البشر صغيرهم وكبيرهم قويهم و ضعيفهم فقيرهم وغنيهم وهو دين يدعوا الى تمتين الاواصر الاجتماعية وفي ذلك يقول ﷻ :

﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة ٧١)

لذلك شرع مبدأ التكافل الاجتماعي الذي يكون فيه كل فرد من افراد المجتمع مسؤولاً عن غيره مسؤولية مباشرة بقدر طاقته وامكانياته

مشكلة البحث :

نعاني اليوم من مشكلة اجتماعية كبيرة وهي زيادة عدد الأرامل في المجتمع، وهذه المشكلة الانسانية التي تواجه المجتمع وهي مشكلة كثرة الارامل والايتام باتت تؤرق أصحاب الرأي والعقلاء في مجتمعنا اليوم، وقد بلغ عدد الارامل بين مليون ومليون ونصف ارملة (وزارة العمل والشؤون الاجتماعية، ٢٠١٢م), ولو افترضنا ان لكل ارملة يتيمان او ثلاثة ايتام سيبلغ عددهم حوالي مليوني يتيم , وقد تعاني بعض الارامل من اوضاع مادية صعبة وتعجز عن توفير تكاليف المعيشة، وايضا مشكلات نفسية تجعلها تعاني الوحدة بعد وفاة زوجها ومن رؤية اطفالها قد فقدوا اباءهم المعيل لهم وظلوا يعانون من الحرمان والحاجة، وتتألم كل يوم من اي شيء يذكرها بزوجها وهي تتعرض لصراع شديد وبخاصة اذا كانت في مقتبل العمر فتعاني صراعا بين شعورها بعدم الاستقرار النفسي والاسري والعاطفي , وهي تواجه مشكلات اجتماعية واقتصادية، وعليها مواجهة اعباء الحياة الصعبة بمفردها أو بمعية أيتامها، وهذا ما نلمسه من الواقع المشاهد في حياتنا العامة .

أهمية البحث :

لاشك ان ترك الأمور على حالها لن يقدم الحل فكان لابد من تقديم ما يمكن تقديمه من حلول سواءً من واقعنا او من تراثنا الأصيل، وحيث ان هذه المشكلة ليس لها من ينادي بها من أصحاب القرار السياسي، أو من المتنفذين في مجتمعنا، فالأرامل دائما من الطبقات الضعيفة في المجتمع، ومن هنا جاءت اهمية هذا البحث ليسلط الضوء على هذه المشكلة أولا وليقدم الحلول ثانيا . علما أن أعداد الارامل في ازدياد وهذا ما يجعل من ترك الحلول الآن يؤدي إلى تفاقم المشكلة بشكل اكبر .

هدف البحث :

وضع الحلول العملية وليس العاطفية او الإعلامية لهذه المشكلة الاجتماعية .

حدود البحث :

برغم ان مشكلة زيادة عدد النساء على عدد الرجال هي مشكلة عالمية وليست محلية، إلا انه قد حدد في هذا البحث اتجاهين :

الأول : تناولت مشكلة الأرامل وزيادة عددهم في المجتمع دون غيرهم من الفئات كالمطلقات او غيرهم .
والثاني اقتصرت على حل مشكلة الارامل في بلدي العراق دون غيره لما لنا من ظروف استثنائية خاصة بسبب الحروب والاقتتال الطائفي والاحتلال والتي ادت إلى هذه النسب الكبيرة .

عناية الاسلام بالأرامل :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : ((السَّاعِي عَلَى الأَرْمَلَةِ وَالمِسْكِينِ، كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوِ القَائِمِ اللَّيْلَ الصَّائِمِ النَّهَارَ)) (البخاري، ج٧ ص٦٢، مسلم، ج٤ ص ٣٢٨٦)

فمن عجز عن الجهاد في سبيل الله وعن قيام الليل وصيام النهار , فليعمل بهذا الحديث وليسعَ على الارامل والمساكين ليحشر يوم القيامة في جملة المجاهدين في سبيل الله دون ان يخطو في ذلك خطوة او ينفق درهماً او يلقى عدوا يرتاع بلقائه , او ليحشر في زمرة الصائمين والقائمين وينال درجتهم وهو طاعم نهاره نائم ليله ايام حياته , فينبغي لكل مؤمن ان يحرص على هذه التجارة التي لا تبور ويسعى على ارملة او مسكين لوجه الله ﷻ فيربح في تجارته درجات المجاهدين والصائمين والقائمين من غير تعب ولا نصب ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء (ابن بطال،ج٩ , ص ٢١٨)

❖ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((أَنَا أَوَّلُ مَنْ يُفْتَحُ لَهُ بَابُ الْجَنَّةِ، إِلَّا أَنَّهُ تَأْتِي امْرَأَةٌ تُبَادِرُنِي فَأَقُولُ لَهَا: مَا لَكِ؟ وَمَا أَنْتِ؟ فَتَقُولُ: أَنَا امْرَأَةٌ قَعَدْتُ على أَيْتَامٍ لِي))(أبي يعلى،١٤٠٤ – ١٩٨٤، ج١٢ ص٧)

فكان ﷺ لا يأنف ان يمشي مع الارملة والمسكين فيقضي لها الحاجة.(الألوكة, ص٢٢)

وكان زواج النبي ﷺ بعد خديجة ﷺ من امرأة ارملة مسنة هي سودة بنت زمعة ﷺ , مات عنها زوجها وهي في الحبشة التي هاجرت اليها فراراً بدينها فما كان من النبي ﷺ الا أن تزوجها اكراماً لها على تضحيتها في سبيل هذا الدين خوفاً عليها من العودة الى والدها المشرك ولكونها امرأة كبيرة في السن تستطيع ان ترعى شؤون بناته من خديجة ﷺ والتي توفيت منذ وقت قصير .(العزيزي , ص ١٥١)

وقولـــه ﷻ : ﴿ وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (النور٣٢)

الايامى واليتامى :- أصلها أيائم ويتائم، فقلبا، والايم للرجل والمرأة، وقد آم وآمت : اذا لم يتزوجا بكرين كانا او ثيبين .

وقد ذكر في تفسير ابن كثير ان الايامي : جمع أيم، ويقال ذلك للمرأة التي لا زوج لها وللرجل الذي لا زوجة له، وسواء كان قد تزوج ثم فارق او لم يتزوج واحدا منهم، حكاه الجوهري من أهل اللغة ويقال رجل أيم وامرأة أيم .(ابن كثير، ج ٤، ص ٤٠٠)

(آم الرجل والمرأة : اذا لم يتزوجا بكرين او ثيبين)

والمراد انكحوا من تأيم منكم من الاحرار والحرائر، ومن كان فيه صلاح من غلمانكم وجواريكم .(الزمخشري، ج ٣، ص ٢٣٨)

واذا نظرنا الى الجيل الاول من الصحابة الكرام لم تكن قضية وجود ارامل في المجتمع المسلم قضية تقلق القيادة الإسلامية في ذلك الوقت

وذلك لأسباب منها :

اولا: أن العرب كان عندهم الزواج من الثيب لا يفرق كثيرا عن زواج البكر، بدليل فعل الرسول ﷺ قبل البعثة كما اسلفنا، واستمرار رغبة الرجال بالزواج من الثيب بعد البعثة على ما اعتادوا عليه في جاهليتهم، رغم زيادة عدد الارامل في المجتمع بسبب زيادة الحروب التي خاضها المسلمون مع أعدائهم من المشركين في بداية انتشار الدعوة الإسلامية والتضحيات الكبيرة التي نتجت عن تلك الحروب .

ثانيا: أن تعدد الزوجات كان منتشرا عند العرب بل هو الاساس عندهم، ومن هنا كانت عبارة (أن الإسلام عدد الزوجات) هي خاطئة حيث ان التعدد كان منتشرا قبل الإسلام وعليه تكون العبارة الصحيحة (أن الإسلام حدد الزوجات) حيث وضع حدا لعدد الزوجات وهو اربع كما في صريح الآية الكريمة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟ ﴾ (النساء: ٣)

وسورة النساء نزلت بعد سورة الممتحنة ومعلوم أن سورة الممتحنة نزلت في فتح مكة (الثامنة للهجرة) فتعدد الزوجات كان مباحا بلا حرج حتى السنة الثامنة للهجرة وفيها نزل تحريم الزيادة على أربع نساء لأول مرة. (غريب، ص ٣٨)

وكانوا(اي العرب) يبيحون للرجل أن يجمع في عصمته من الزوجات ما شاء دون التقيد بعدد، وكان الذين جمعوا بين أكثر من أربع زوجات أكثر من أن ينالهم العد، وجاء الإسلام ومنهم من له العشرة من النساء والأكثر، والأقل، فقصر ذلك على أربع إن علم أنه يستطيع الإنفاق عليهن، والعدل بينهن، فإن خاف عدم العدل فليكتف بواحدة، وما كانوا في الجاهلية يلتزمون العدل بين الزوجات، وكانوا يسيئون عشرتهن، ويهضمون حقوقهن حتى جاء الإسلام فأنصفهن، وأوصى بالإحسان إليهن في العشرة، وقرر لهن حقوقا ما كن يحلمن بها (الصَّلاَّبي ١٤٢٩ – ٢٠٠٨، ص٣٠)

المبحث الثاني

الايتام

المطلب الاول : مفهوم اليتيم

والاصل ان يكون لليتيم مجال آخر، ولكن للترابط الحتمي بينه وبين أمه الارملة لابد ان نعرج عليه بشيء من التفصيل، ولا يمكن ان نتعامل مع أحدهما بمعزل عن الآخر .

اليتيم : جمعه أيتام ويتامى ويتمه وهو من الفعل الماضي (يتمَ) ومصدر (يتم) واليتيم له عدة معاني في اللغة منها :

الانفراد :- فاليتيم هو الفرد وسمي كذلك لفقده أبيه الذي يجتمع الناس اليه بسببه .

الغفلة :- وقد سمي بذلك لان اليتيم عادة ما يغفل عنه الناس وينسونه .

الابطاء :- وذلك لان بر الناس غالباً ما يبطئه او يصله ببطء لانشغال الناس عنه .

واليتيم من البشر :- هو من فقد عائله الذي يوفر له مقومات الحياة وذلك انهم قالوا : ان اليتيم من البشر هو من فقد اباه، ومن البهائم من فقد أمه، ومن الطير من فقد اباه وأمه .

ويقال للذكر يتيم وللأنثى يتيمه ويزول اليتم عنهما ببلوغ سن الرشد .(ابن منظور، ص ٤٦٤٨)

كفالة اليتيم اصطلاحاً :- قال ابن حجر : كافل اليتيم : أي المقيم بأمره ومصالحه (العسقلاني، ١٣٧٩ ج١٠، ص٤٥١) وقال صاحب القاموس الفقهي :- كافل اليتيم هو القائم بأمر اليتيم المربي له (أبو جيب ١٤٠٨ـ - ١٩٨٨، ج١ ص ٣٢٢)

واذا كان اليتيم شرعاً : هو الصغير الذي فقد أباه (المصدر السابق، ج١ ص٣٢٢) (ويقصد بالصغر عدم بلوغ الحلم في الذكور وعدم الزواج في الاناث)، فأن كفالة اليتيم حينئذ تكون : القيام بأمر الطفل الصغير ورعاية مصالحه وتربيته والاحسان اليه حتى يبلغ مبلغ الرجال ان كان ذكراً ، او تتزوج ان كانت بنتاً (بن حميد، ج ٨، ص٣٣٤٧)

أهمية كفالة اليتيم :

قَالَ: رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ : ((وَأَنَا وَكَافِلُ اليَتِيمِ فِي الجَنَّةِ هَكَذَا)) وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ وَالوُسْطَى، وَفَرَّجَ بَيْنَهُمَا شَيْئًا (البخاري، ج٧، ص ٥٢)

فاليتيم انسان ينقصه الحنان، امسح رأسه، اقترب منه، أبتسم له، طيب خاطره، ادخل البهجة على روحه الظامئة بكلمة بلمسة ببسمة، ان العلاقات الانسانية تحقق كل مجد لها حين تضفي على هذا اليتيم المحروم من حنانها ودفئها .(خالد، ج ٢، ص٢٠٤)

محمد ﷺ خير المكفولين :

(وفي سيرة المصطفى ﷺ ما تطيب به خواطر اليتامى في كل مكان وزمان فقد توفي والده قبل ان يولد ونشأ في كفالة جده عبد المطلب يلقى من الرعاية والعناية ما يعوضه عن فقد أبيه). (بن حميد، ج٨، ص٣٢٤٨)

المطلب الثاني: اهتمام القرآن الكريم بالأيتام

إذا نظرنا إلى القرآن الكريم وجدنا أنه قد تناول موضوع اليتيم في أكثر من عشرين موضعا، وقد تناول موضوع اليتيم منذ بداية النزول فنجد أنه قد ذكره في السور المكية مثل (الضحى، الماعون، الفجر، البلد) وهذا يعني أن مشكلة الأيتام كانت تحز في نفوس عقلاء القوم أولا، ولأهمية هذا الموضوع ثانيا، لذلك تناول القرآن الكريم موضوع اليتيم منذ بداية النزول .

إن الله ﷻ عندما يكتب على الأبناء فقدان الآباء فإنه يشرع لهم بحكمته وعدله من الشرائع ما يعوضهم عما فاتهم من الرعاية والحماية، بل أن الله ﷻ قد جعل خاتم أنبيائه ورسله يتيما ليشعر بحالهم وليكون قلبه معهم، فقال ﷻ (أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى) (الضحى، ٦) وفي نهاية السورة قال : (فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ) (الضحى، ٩) فكما أن الله ﷻ هيأ لك من يؤويك في صغرك ويحسن إليك، فأنت مطالب بعدم قهر اليتيم وفاء لكرم الله ﷻ معك في صغرك، وسنتناول اهتمام القرآن الكريم بالأيتام بشيء من التفصيل :

كما هو معلوم فإن كل أنظمة الجاهلية تعتمد على قانون الغلبة للأقوى، كحال فرائس البهائم. فالقوي يأكل الضعيف، ولا شك أن الضعيف في المجتمع هو اليتيم والمرأة، لذلك يؤخذ حقها عنوة أو خديعة على مر العصور، فجاء القرآن الكريم بتشريعاته ليرفع عنهما الغبن والحيف فأوصى بهما في العديد من المواضع، فقال ﷻ:(وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ) (الانعام، من الآية ١٥٢)

واليتيم ضعيف في الجماعة بفقده الوالد الحامي والمربي، ومن ثم يقع هذا الضعف على المجتمع المسلم، حيث يجعل الإسلام التكافل الاجتماعي قاعدة نظامه الاجتماعي، وكان الضعاف من الأيتام والنساء قد ضاعت حقوقهم في المجتمعات الجاهلية، وكثرة التوجيهات الواردة في القرآن الكريم تشي بما كان فاشيا في تلك المجتمعات، حتى انتدب الله ﷻ يتيما كريما فيه، فعهد إليه بأشرف مهمة في الوجود حين عهد إليه بالرسالة إلى الناس كافة .

وقد جعل الله ﷻ من مهام الخضر – عليه السلام – أن يرعى مالا لغلامين يتيمين في المدينة التي أبت أن تضيفه مع موسى – عليه السلام –، فنجد في قوله ﷻ: (وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْراً) (الكهف،٨٢) فنجد في هذه الآية الكريمة أكثر من إشارة .

الأولى : رعاية الله ﷻ لذرية الرجل الصالح بعد موته، فلا يخشى الصالحون على أولادهم إذا ما تركوهم ضعافا وأيتاما في هذه الحياة الدنيا .

الثانية: رعاية الله ﷻ لهم ولو عن طريق إرسال الخضر –عليه السلام – إلى بلد آخر ليحمي لهم مالهم، فالأحرى بنا أن ننظر بعين الاهتمام إلى أيتامنا فلا نضيع أموالهم، بأن تودع في البنوك الربوية (او ما يسمى ببنك رعاية القاصرين) .

الثالثة : سبحانه القادر الرازق له أن يرزقهم بعد بلوغهما بمال أكثر من مالهم، ولكن سنته ﷻ جارية على الأيتام وعلى غيرهم بضرورة العمل والكسب والأخذ بالأسباب (فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا) . ثم يقرر في نهاية المطاف (وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي).

الرابعة : مما يؤكد أن الله ﷻ جعل اليتيم يتيما وإن كان غنيا فقال (وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا) والكنز هو المال الكثير وليس الدراهم المعدودة . أو المبالغ التافهة كما هو معلوم من لغة العرب.

اهتمام القرآن في موضوع الأيتام:

والقرآن الكريم قد شدد في موضوع الأيتام لا سيما في الأخذ من أموالهم لعلمه ﷻ بضعفهم وعجزهم عن الدفاع عن حقوقهم، والآيات التي أكدت على حفظ حقوق الأيتام وأموالهم كثيرة مثل :

١- قولهﷻ: (وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا)(الانعام، من الآية ١٥٢)

٢- قوله ﷻ : (وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً)(الاسراء، ٣٤)

٣- قولهﷻ : (فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ)(الضحى، ٩)

٤- قولهﷻ: (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ) (البقرة، من الآية ٨٣)

٥- قوله ﷻ : (لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَـكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ والملائكة وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) (البقرة، ١٧٧)

٦- قولهﷻ: (يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ) (البقرة، ٢١٥)

٧- قولهﷻ: (وَآتُواْ الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلاَ تَتَبَدَّلُواْ الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوباً كَبِيراً)(النساء، ٢)

٨- قوله ﷻ : (وَابْتَلُواْ الْيَتَامَى حَتَّىَ إِذَا بَلَغُواْ النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْداً فَادْفَعُواْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلاَ تَأْكُلُوهَا إِسْرَافاً وَبِدَاراً أَن يَكْبَرُواْ وَمَن كَانَ غَنِيّاً فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ)(النساء، من الآية ٦)

٩- قوله ﷺ : (وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُوْلُواْ الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفاً) (النساء، ٨)

المبحث الثالث

اليتيم في الإسلام

المطلب الاول: الاحاديث الواردة في رعاية اليتيم

قال رَسُولَ اللَّهِ ﷺ : ((مَنْ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى رَأْسِ يَتِيمٍ تَرَحُّمًا، كَانَتْ لَهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ تَمُرُّ بِيَدِهِ عَلَيْهَا حَسَنَةٌ))(ابن المبارك، ج١ ص٢٢٩)

وعَنْ أَبِي أمامه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ((مَنْ مَسَحَ رَأْسَ يَتِيمٍ، لَمْ يَمْسَحْهُ إِلَّا لِلَّهِ، كَانَتْ لَهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ مَرَّتْ عَلَيْهِ يَدُهُ حَسَنَاتٌ , وَمَنْ أَحْسَنَ إِلَى يَتِيمِهِ، أَوْ يَتِيمِ غَيْرِهِ، كُنْتُ أَنَا وَهُوَ فِي الْجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ)) . وَقَرَنَ بَيْنَ أُصْبُعَيْهِ (المصدر نفسه، ج١ ص٢٣٠)

وقال رسول الله ﷺ : ((إن أحب البيوت إلى الله بيت فيه يتيم مكرم)) (الطبراني، ١٤٠٤ – ١٩٨٣، ج١٢ ص٣٨٨)

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ((خَيْرُ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بَيْتٌ فِيهِ يَتِيمٌ يُحْسَنُ إِلَيْهِ، وَشَرُّ بَيْتٍ فِي الْمُسْلِمِينَ بَيْتٌ فِيهِ يَتِيمٌ يُسَاءُ إِلَيْهِ))، ثُمَّ قَالَ ﷺ بِأُصْبُعَيْهِ: ((أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ كَهَكَذَا، وَهُوَ يُشِيرُ بِأُصْبُعَيْهِ))(ابن المبارك، ج١ ص٢٣٠)

وقال ﷺ: ((مَنْ ضَمَّ يَتِيمًا بَيْنَ أَبَوَيْنِ مُسْلِمَيْنِ إِلَى طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ حَتَّى يَسْتَغْنِيَ عَنْهُ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ الْبَتَّةَ وَمَنْ أَعْتَقَ امْرَأً مُسْلِمًا كَانَ فَكَاكَهُ مِنَ النَّارِ يُجْزِي بِكُلِّ عُضْوٍ مِنْهُ عُضْوًا مِنْهُ مِنَ النَّارِ)) (ابن حنبل، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م، ج٣١ ص٢٧٠)

عن أبي الدرداء قال: ((اتقوا دمعة اليتيم ودعوة المظلوم فإنهما يسيران بالليل والناس نيام)) (ابن أبي الدنيا ١٩٩٠ م، ج٢ ص٨١٤)

وقوله ﷺ : ((اليتيم اذا بكى أهتز العرش فيقول الله عز وجل : من أبكى اليتيم الذي غيبت أباه ؟ قالوا : أنت العليم الحكيم، قال : يا ملائكتي من سكنه برضاه اعطيته من الجنة حتى رضاه)) (ابن أبي الدنيا ١٩٩٠ م، ج٢ ص٨١٦)

المطلب الثاني :عناية الاسلام باليتيم :

ان الاسلام قد عني كثيرا باليتامى حيث جاءت نصوص القران الكريم والسنة المطهرة بكثير من التشريعات والتوجيهات التي تبين ما لهذه الفئة من حقوق واحكام كذلك تنظم علاقتهم بغيرهم من افراد المجتمع ونذكر :

الاحسان الى اليتامى ومنه قوله ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ ﴾ (البقرة: من الآية ٨٣) الاحسان هو اسم جامع لكل بر .(القرطبي ج ٢، ص ١٣)

ومن هنا فأن الآيات تشمل كل وجوه المعروف الذي يمكن ان تقدم لليتامى والانفاق عليهم تطوعاً قال ﷻ: (لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ) (البقرة، ١٧٧)

وجاء في الحديث الذي رواه أبو سعيد الخدري ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَامَ عَلَى المِنْبَرِ، فَقَالَ: ((إِنَّمَا أَخْشَى عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي مَا يُفْتَحُ عَلَيْكُمْ مِنْ بَرَكَاتِ الأَرْضِ))، ثُمَّ ذَكَرَ زَهْرَةَ الدُّنْيَا، فَبَدَأَ بِإِحْدَاهُمَا، وَثَنَّى بِالأُخْرَى، فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوَيَأْتِي الخَيْرُ بِالشَّرِّ؟ فَسَكَتَ عَنْهُ النَّبِيُّ ﷺ، قُلْنَا: يُوحَى إِلَيْهِ، وَسَكَتَ النَّاسُ كَأَنَّ عَلَى رُءُوسِهِمُ الطَّيْرَ، ثُمَّ إِنَّهُ مَسَحَ عَنْ وَجْهِهِ الرُّحَضَاءَ، فَقَالَ: ((أَيْنَ السَّائِلُ آنِفًا، أَوَخَيْرٌ هُوَ - ثَلاَثًا - إِنَّ الخَيْرَ لاَ يَأْتِي إِلَّا بِالخَيْرِ، وَإِنَّهُ كُلَّمَا يُنْبِتُ الرَّبِيعُ مَا يَقْتُلُ حَبَطًا أَوْ يُلِمُّ إِلَّا آكِلَةَ الخَضِرِ، كُلَّمَا أَكَلَتْ حَتَّى إِذَا امْتَلَأَتْ خَاصِرَتَاهَا، اسْتَقْبَلَتِ الشَّمْسَ، فَثَلَطَتْ وَبَالَتْ، ثُمَّ رَتَعَتْ، وَإِنَّ هَذَا المَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، وَنِعْمَ صَاحِبُ المُسْلِمِ لِمَنْ أَخَذَهُ بِحَقِّهِ، فَجَعَلَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَاليَتَامَى وَالمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ، وَمَنْ لَمْ يَأْخُذْهُ بِحَقِّهِ، فَهُوَ كَالْآكِلِ الَّذِي لاَ يَشْبَعُ، وَيَكُونُ عَلَيْهِ شَهِيدًا يَوْمَ القِيَامَةِ)) (البخاري، ج٤ ص٣٦)

ففي الآيات والاحاديث السابقة تحريض على التطوع بالإنفاق على اليتامى وبيان عظيم اجر ذلك عند الله ﷻ .

الفصل الثاني

الارامل في العراق

المبحث الاول

أعداد الأرامل في العراق

المطلب الأول :إحصائيات:

صدرت حتى الان الكثير من التقارير التي تتحدث عن هذه المشكلة اذ كشفت وزارة المالية العراقية في ١٨ حزيران ٢٠١١، عن وجود اكثر من مليون ارملة في البلاد، كما اعلنت ذلك اللجنة الدولية للصليب الاحمر في العراق ايضاً في ٢٤ آب ٢٠١١ .

وينقل عن سجلات وزارة المرأة العراقية في ان هناك ٣٠٠ الف ارملة في بغداد وحدها . ويقول مكتب الامم المتحدة لتنسيق الشؤون الانسانية في جنيف ان هذه الارقام قد تكون اقل مما هي في الواقع اذا اخذنا بنظر الاعتبار جرائم القتل الخفية التي يتعذر تسجيلها وإحصائها . (هادي، تقرير خبري)

اما تقرير الدكتور اسامة مهدي المنشور في ايلاف تحت عنوان استراتيجية لتحسين اوضاع ١.٥ مليون ارملة ضحايا العنف والحروب المنشور في ١٩،٩،٢٠١١ فيؤكد ما يأتي : حذر مختصون وسياسيون ونواب عراقيون من مخاطر الظروف القانونية والنفسية والاقتصادية التي تعيشها أكثر من ١.٥ مليون ارملة من ضحايا العنف والحروب التي شهدتها البلاد ووصفوا هذه الاوضاع بالمحنة مؤكدين أنها اوضاع تحمل ابعاداً وانعكاسات كارثية في حالة عدم تداركها، والسؤال هو من يتحمل مسؤولية هذا ويتدارك هذه الكارثة .

وتشير الدكتورة كاترين ميخائيل عن احدى الدراسات التي أجرتها وزارة التخطيط : اذ ظهر ان اكثر من نصف الارامل في العراق فقدن ازواجهن بعد ابريل ٢٠٠٣ وغالبيتهن مسؤولات عن اعالة طفل واحد الى ثلاثة أطفال .(ميخائيل، ٢٠١١،العدد ٣٥٠٩)

و ينقل عن سجلات وزارة شؤون المرأة في العراق: ان هناك ٣٠٠ الف ارملة في بغداد وحدها الى جانب ٨ ملايين ارملة في مختلف انحاء العراق حسب السجلات الرسمية. وهذا يعني ان نسبة الارامل هذه تشكل ٣٥% من عدد نفوس العراق وانها تشكل نسبة ٦٥% من عدد نساء العراق، وقد تشكل نسبة ٨٠% من النساء المتزوجات بين سن العشرين والاربعين.(شبكة النبأ / ١٣ /٥ / ٢٠٠٦)

(أعلنت وزارة التخطيط، ان عدد المطلقات والارامل في عموم العراق بلغ نحو مليوني مطلقة وارملة حسب نتائج مسح الامن الغذائي الذي نفذه الجهاز المركزي للإحصاء خلال عام ٢٠١٦.

وقال المتحدث الرسمي لوزارة التخطيط عبد الزهرة الهنداوي في بيان تلقت (المستقلة) نسخة منه، ان "عدد المطلقات بلغ ١٢٢ الفا و٤٣٨ مطلقة، منهن ١٠٥ الاف مطلقة تتراوح اعمارهن من ١٤ إلى ٤٩ سنة فيما كان عدد المطلقات بعمر ٥٠ سنة فما فوق ١٧ الف و٤٣٢ مطلقة" .واكد الهنداوي على ان "عدد الارامل

وصل إلى ٨٧٨ الفا و٤٥٥ ارملة منهن ٢٠٣ الاف ارملة بعمر ١٤ إلى ٤٩ سنة وهناك ٦٧٥ الفا و١٩٨ ارملة بعمر ٥٠ سنة فما فوق".

وأضاف ان "مسح الامن الغذائي لعام ٢٠١٦ لم يشمل محافظتي نينوى والانبار وكذلك قضاء الحويجة في محافظة كركوك وقضائي بيجي والشرقاط في محافظة صلاح الدين بسبب الظروف الامنية فيها"، لافتاً إلى ان "المؤشرات الخاصة بالأرامل والمطلقات لم تتضمن البيانات الخاصة بالمحافظات والاقضية المذكورة".) (وكالة الصحافة المستقلة، ١/٩ / ٢٠١٧م)

ان هذه التقارير والتصريحات الصادرة عن مسؤولين عراقيين وعن منظمات مجتمع مدني تؤكد بما لا يقبل الشك بأن النساء في العراق يواجهن محنة كبيرة وكارثة اجتماعية نشأت بفعل عوامل عدة نشير الى أبرزها في النقاط الاتية :

١.السياسات والحروب العدوانية التي خاضها النظام داخل العراق وخارجه وضد جيرانه، وتلك التي تسبب بها وقادت الى قتل مئات الالاف من الذكور التي تتراوح اعمارهم بين ١٨ – ٥٠ سنة او الذين قتلوا بعد الانتفاضات الشعبية او في السجون والمعتقلات .

٢. كما ان فترة الحصار الاقتصادي وتردي الاحوال الصحية وتدهور الحالة المعيشية للسكان وشح الادوية والمعالجة الطبية فقد افقد العراق الكثير من الضحايا بين النساء والرجال والاطفال وكانت الخسارة بين الذكور كبيرة ايضاً بسبب الاصابات السابقة وكذلك اسلحة كيميائية او اسلحة اشعاعية ولاسيما المقذوفات المصنوعة من اليورانيوم المنضب المحرمة دولياً من جانب القوات الامريكية في حرب الخليج الثانية في ١٩٩١ (الجبوري، ٢٥ / ٨ / ٢٠١٢ م) .

٣. العنف الذي انفجر في العراق في اعقاب سقوط النظام وفرض الاحتلال حيث مارست قوى الارهاب الدموي عمليات ارهابية واسعة جداً وكثيفة سقط بسببها عشرات ألاف الضحايا كما خاضت المليشيات الطائفية السياسية المسلحة نزاعات دموية وقتل على الهوية المذهبية، وضد اتباع الديانات الاخرى . ان العمليات الارهابية والصراعات السياسية ما تزال حتى الان تكلف المتجمع العراقي الكثير من الضحايا خاصة بين الذكور .

٤. غياب نظام اجتماعي مناسب يكفل للمرأة الارملة عيشة كريمة هي وأطفالها اليتامى، رغم الثروة الهائلة التي نمتلكها .

المطلب الثاني : سيكولوجية الترمل

يمثل الترمل ازمة نفسية واجتماعية لمن يمر بها . فكيف تمر بسلام ؟ كيف يواصل الارامل حياتهم بنجاح ؟

مات الزوج فالتف الجميع حولها معزيا ومواسيا . لكن ما ان انتهت ايام العزاء والمواساة حتى لفتها الوحدة وباتت ذكرياتها تؤرقها، ومأساة الفقد والقلق على المستقبل .

وحدوث الترمل في مرحلة الشيخوخة مأساة قاسية، فوفاة أحد الزوجين يعد بالنسبة لمسن كارثة مؤلمة وحدثا حزينا ومشكلة عويصة، فهو يحدث في الوقت الذي يكون فيه الانسان في أمس الحاجة الى الرفيق والاليف والمعين . وبشكل عام فأن الرجل أكثر تأثراً وحزنا ولهذا فهم يلحقون بزوجاتهم المتوفيات بشكل اسرع من النساء .

بيد أن ازمة الترمل هي أشد وطئاً وعبئاً على الارملة مقارنة بنظيرها الارمل ولان الزوج عادة ما يموت اولا فتضطلع الزوجة الارملة بدوره مما يجعل الترمل صفة من الصفات الانثوية على وجه العموم، فهي بعد فقد عائلها تواجه منفردة في غالب الاحيان مسؤولياتها والكفاح من اجل اعالة اولادها، فضلا عن معاناتها من نظرة بعض المجتمعات لها كونها بلا زوج فنراهم يحسبون عليها حركاتها وسكاناتها.

والمرأة في مجتمعاتنا العربية تعلق كثيرا من الآمال على الزوج وتشعر بأنه اجتماعياً كل حياتها، بل وتنتظر من الزوج العائل والسند اسباب تلك الحياة ومبرر من مبررات وجودها وبالمقابل فأن المتجمع العربي ما زال ينظر للأرملة نظرة تعاطف وترحم باعتبارها ذات ظروف خاصة، تحتاج لمن يساندها ويدعم رعايتها وكفالتها هي وابناءها .

ومن ثم فانفضاض مؤسسة الزواج – ترملاً– قد يولد لديها معاناة تنطوي على معاناة نفسية وعاطفية واجتماعية واقتصادية عميقة .

فالأرمل وبخاصة المسن قد يواجه مشاكل اخرى تختلف عما تواجهه الارملة اذ يجد صعوبة فيما لم يعتد عليه مثل ادارة الشؤون المنزلية وغيرها . وهذا ما قد يدفع به للزواج مرة اخرى، أما هي فقد يحدث لها مرحلة من (عدم الاتزان) والانعزالية فأما ان تتماسك لتقوم بتحمل المسؤولية والنهوض بأعباء اعالة اولادها لامتلاكها قوة الارادة والعزم والمثابرة والمقدرة على تحمل وتجاوز الصدمات فتقوم بدور الام والاب معاً واما أن تنهار استسلاما للعديد من الآلام .

ونراها تتألم حينما ترى نظرات الشفقة في أعين بعض من حضروا لعزائها وهي تتمنى أن يعامل أطفالها معاملة عادية حتى لا يتولد لديهم شعور بالنقص وتتألم عندما تتسلم شهادة وفاة زوجها وتتألم في أنهاء اجراءات الميراث والمعاش والوصية والمشكلات المالية وتتألم من طمع بعض الاقارب في الميراث وتتألم من تصرفات بعض اهل زوجها وتتألم لتعرضها للمجتمع بلا غطاء من زوج وتتألم لابتعاد جاراتها وصديقاتها عنها وخوفهن على ازواجهن منها وتتألم من خشية ان يتكلم الناس عنها بسوء وتتألم كل يوم مع اي شيء يذكرها بزوجها في حين ان كل شيء حولها وداخلها يذكرها به .

وهي تتعرض لصراع شديد وبخاصة اذا كانت في مقتبل العمر فتعاني صراعا بين شعورها بعدم الاستقرار النفسي والاسري والعاطفي والحاجة الى الزواج لسد ذلك الفراغ المتعدد الجوانب وبين الخوف على الابناء ومستقبلهم وهي تواجه مشكلات ضاغطة اجتماعية (ولعل ما قد يخفف عنها اذا كان الابوان أحدهما او كلاهما حيين) في حين تعتبر معاودة الزواج نكرانا او جحودا منها للزوج الراحل ولو ارادت ان تتزوج ولديها

ابناء تبدأ مشاكل الحضانة واحيانا يطلب اهل الزوج الراحل منها الزواج من أحد افراد العائلة وذلك من اجل الاولاد وكرامة العائلة .

وقد يتغلب حب الابناء والخوف عليهم فتكرس بقية حياتها لهم، بيد ان صعوبات الحياة ومتطلباتها الحاضرة وتحمل دور الاب والام في نفس الوقت دور لاشك صعب لذا قد تتطور تلك الصراعات الى قلق واحباط وانعزال واكتئاب مما ينعكس على ابنائها والمحيطين بها باعتبارهم سبب يحول دون سعادتها .

وهي تخشى بعد سنوات سعت فيها للم شمل اسرتها ورعاية مصالحها ذلك الوقت الذي يمضي فيه ابناؤها مع زوجاتهم ويتركونها وحيدة او يدعونها للعيش معهم ولكنها تكره ان تكون ضيفاً ثقيلاً على اسرة حتى ولو كانت اسرة احد ابنائها .

المبحث الثاني

علاج مشكلة الارامل

ليست هناك عصا سحرية يمكنها معالجة هذا الوضع دفعة واحدة، بل هناك حلول عملية يفترض ان تسارع الى اتخاذها الجهات المسؤولة في العراق . فمن واجبات مجلس النواب اصدار تشريعات بالتنسيق مع الحكومة، كما انها من واجبات الحكومة التي يفترض ان تتخذ الاجراءات الكفيلة بمعالجة المشكلة من حيث التشريع او سياسة السلطة التنفيذية في موضوع التنمية الاقتصادية وتوفير فرص عمل للمرأة او تأمين منح قروض للمرأة يمكن من خلالها توفير فرصة عمل حرة لها او من خلال تقديم الدعم المناسب لمنظمات المجتمع المدني لممارسة صيغ جديدة لدعم المرأة الارملة بما يسهل لها مساعدة نفسها في توفير معيشتها بكرامة .

المطلب الأول :كيف يواصل الارامل حياتهم بنجاح ؟

ليتغلب الارامل على معاناتهم النفسية وتحولهم من حالة الترمل الى حالة الحياة والاستمرار عليها و بما يحقق لهن التوازن والاستقرار والامن النفسي مثل العبادات والبعد عن المسببات التي تسبب القلق والتوتر فالحياة لم تنته بوفاة الزوج فكل لحظة تعاش نعمة من الله ﷻ غالية، من الظلم اهدارها في كثير من التألم من ابتلاء يصاب به العديد من الناس . فلتغلق ابواب الحزن ولتفتح نوافذ الرضا ليشرق الاطمئنان والهدوء لها ولأبنائها .

١-عليهن اكتساب المزيد من المعارف والمعلومات التي تساعدهم على التعامل مع واقعهم الجديد بنجاح وعليهم طرد فكرة قلة الحيلة والمسارعة الى الاستقلالية فالمبالغة في الاعتماد على الاخرين تجعلهم يسارعون بالابتعاد هروباً من عبء اضافي على اعباء حياتهم .

والارامل بحاجة الى بعض الوقت للتكيف مع حياتهم الجديدة خاصة اذا ساعدهن المحيطون بهن على تنمية ثقتهن بأنفسهن وبقدراتهن، ويتوجب على الابناء توفير اوجه الرعاية والتي تتمثل في رد الجميل باتجاه امهاتهم في هذه المرحلة الحرجة من حياتها، وبخاصة اذا تزامنت وازمة التقاعد عن العمل، واشعارها بالحب

والحنان وتنمية العلاقات الاجتماعية وتوسيع دائرة صداقاتها والحرص على ملء وقت فراغها وتشجيعها على ممارسة انشطتها المحببة والمفيدة وان تعتني بنفسها وغذائها .

٢- بدلاً من ان تجلس وحيدة تجتر الماضي وذكرياته تحاول الارملة ان تخلق لنفسها جماعات اجتماعية تكون بمثابة (اسعافات سريعة) لتضميد جراحها وضمان عودتها للبداية الصحيحة بعد ترتيب اوراقها .

٣- اذا افتقدت الكفالات المناسبة (من أبن او اب او اخ وغيرهم) واصابها العوز المادي وكانت لديها ما يؤهلها للعمل فلها البحث عن عمل بما يتناسب مع خبرتها لتغطي المصاريف اللازمة للأسرة، والارملة عندما تخرج الى محيط العمل تختلف نظرتها الى الامور وتنجح بسرعة .

٤- الصورة الايجابية للأرملة تساعدها على الانخراط والتفاعل الاجتماعي الصحي مع الاخرين في العمل وبين الجيران والاقارب، و تسهم الارملة في بلورة هذه النظرة لها سلباً او ايجاباً فاذا كانت وفيه لزوجها مكافحة مع اولادها فأنها غالباً ما تلقى التعاطف والمساندة والتأييد لاستكمال رحلتها في تربية ابنائها ورعايتهم .

٥- لها ان تتزوج مرة اخرى وتبدأ حياتها من جديد، وان هذا الزواج حق اجازه لها الشرع بعد انتهاء العدة خاصة اذا كانت في مقتبل العمر ولديها أطفال بحاجة الى رعاية في ظل اسرة طبيعية . فلها ان تتزوج لتكمل حياتها وتراعي مصلحة ابنائها في اختيار الزوج الذي يرفق بها ويتحمل مسؤوليته نحوهم ويمتلك القدرة على التعامل معهم ليحل محل الاب في حياتهم، فمن يرعى الايتام في بيتهِ له منزلة – دنيوية وأخروية رفيعة الشأن، وينبغي على الابناء الراشدين ان يراعوا ايضا والدتهم وان يحسنوا اليها اذا رغبت بالزواج من جديد .

٦- واذا ما آثرت الارملة اطفالها على حساب محاولة الزواج مرة أخرى فلتحسن رعايتهم وتجيد التصرف والتفوق فيما تفعل . ولتكن اكثر حباً وعطفاً وحناناً وتدقيقاً في امورهم ولتكن في عيونهم قدوة ولتثبت كفاءتها لتستطيع تجاوز الازمة .

المطلب الثاني :أيهما أهون تعدد الزوجات أم وجود أرامل ؟

قبل الدخول في تفاصيل الموضوع لابد ان نشير إلى بعض الأمور

١- من القواعد الأصولية تقديم الضرر العام على الضرر الخاص (أي نقبل بالضرر الخاص من أجل التخلص من الضرر العام) وهذا يعني أن ما تعانيه الزوجة الأولى من الضرر بسبب التعدد هو أقل ضررا من زيادة عدد الأيتام والأرامل في المجتمع.

٢- المشكلة الصغيرة عندما تترك قد تتفاقم وتكبر وحينئذ يصعب حلها .

٣- الأخطاء الفردية لا تعم الجميع. فمن أخطأ في تعامله مع زوجتين أو أكثر فهذا لا يعني أن الجميع سيقعون في الخطأ .

٤- ومن القواعد الأصولية أن المصلحة العامة تقدم على المصلحة الخاصة فمصلحة الزوجة الأولى في بقائها الزوجة الوحيدة للزوج لا تقدم على مصلحة المجتمع .

٥- من القواعد الفقهية (ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب) فإذا كنا نعتقد أن رعاية الأرامل والايتام واجب علينا ولم نستطع أن نحقق الرعاية إلا بإشاعة التعدد فسيكون التعدد واجب في هذه الحالة .

٦- كل أمر جديد يحصل فيه أخطاء ولكن هذا لا يعني إلغاء محاولات التجديد .

٧- الانسياق وراء العواطف لا يقدم الحلول بل يبقيها على حالها . وعلينا تقديم الحلول العملية بدل التألم الوجداني على واقع الأرامل.

واقول هنا ان قضية تعدد الزوجات قضية اجتماعية دينية وليست قضية اقتصادية، وان المشكلات الاقتصادية التي تتعرض لها الاسرة عند تعدد الزوجات اهون بكثير من المشكلات الاجتماعية التي تتعرض لها الاسرة عندما يكون بها عانس او مطلقة او ارملة، والارزاق بيد الله ﷻ، والانسان لا يضمن رزقه في ظل نظام الزوجة الواحدة حتى يشكو منه في ظل تعدد الزوجات، وقد يكون للرجل الواحد زوجة واحدة ولكنها مسرفة مبذرة واكثر خطورة اقتصادية من اربع زوجات صالحات مدبرات لدى رجل اخر، وفي العصر الحديث بعض البلاد الاسلامية يزيد دخل الفرد كلما زاد عدد زوجاته، لان ابواب العمل اصبحت مفتوحة، امام النساء وكل امرأة تعمل تحصل على راتب شهري وهذا يتيح للزوجة والزوج فرصة طيبة للادخار والاستثمار ورفع مستوى المعيشة وتحقيق الرفاهية لكل افراد الاسرة . وحديث عبدالله ابن مسعود الذي رواه عن النبي ﷺ في خلق الانسان عند نفخ الروح وهو في بطن امه بعد مضي (١٢٠) يوماً . (ابن رجب، ١٩٤٥، ص ٤٤)

ولا يخرج الانسان للحياة الا ورزقه مقدر من الله فيجب التوكل عليه سبحانه فالحق جل وعلا يقول: ﴿ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ۚ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾ (الطلاق: ٣)

وقال ﷻ: ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾ (الذاريات: ٢٢ – ٢٣)

(وهي لفتة عجيبة. فمع أن أسباب الرزق الظاهرة قائمة في الأرض، حيث يكد فيها الإنسان ويجهد، وينتظر من ورائها الرزق والنصيب. فإن القرآن يرد بصر الإنسان ونفسه إلى السماء. إلى الغيب. إلى الله. ليتطلع هناك إلى الرزق المقسوم والحظ المرسوم. أما الأرض وما فيها من أسباب الرزق الظاهرة، فهي آيات للموقنين. آيات ترد القلب إلى الله ليتطلع إلى الرزق من فضله ويتخلص من أثقال الأرض وأوهاق الحرص، والأسباب الظاهرة للرزق، فلا يدعها تحول بينه وبين التطلع إلى المصدر الأول الذي أنشأ هذه الأسباب) (قطب، ١٤١٢ ، ج٦ ص٣٣٨١)

المطلب الثالث : السلبيات والايجابيات في زواج الأرامل :

وسأسرد السلبيات الناجمة عن بقاء الأرملة بدون زواج ثم أسرد الإيجابيات الحاصلة في إعادة الأرملة إلى واقع الحياة بعد أن كانت على هامشها . ثم بعد ذلك أترك للقارئ الكريم الحكم فيما نصل إليه من نتائج .

أ-السلبيات :

إن أكثر الأطفال الذين تربوا على يد أم من غير أب، لم تكن شخصيتهم مستقيمة بالشكل المطلوب فإما أن يكون ضعيفا خائفا وإما أن يكون شريرا فاسدا، وهذا في الغالب الأعم، وذلك لأسباب من أهمها :

إن الأم بطبيعة حالها عاطفية وضعيفة فيمكن أن تربي الأطفال في السنين الأولى من أعمارهم، أما إذا كبر الأطفال وصاروا في سن المراهقة، فإن زمام الأمر سينفلت ما لم تكن سلطة الأب قائمة لتكون رادعا لهم عن الطيش والتجاوز. وفي المثل العامي نقول (تربية امرأة) عندما نرى ضعف الشخصية عند الشاب اليتيم . وبعبارة أخرى سيكون مع الأرملة ضحايا ابرياء كل جنايتهم أن امهم ترملت .

والأرملة التي تكابد عناء الحياة لوحدها ينعكس أحيانا إلى سلوك عدواني تجاه أبنائها وكأنها تحملهم المسؤولية في عدم زواجها من رجل آخر، وحتى الطاقة الجنسية المكبوتة، والتي لم تجد الوعاء الطبيعي لاستفراغها، قد تتحول إلى مشكلة نفسية تنعكس سلبا على الأبناء .

ثم لماذا هذا الحرمان ؟ أليست نفسا بشرية تحتاج إلى كل ما تحتاجه المرأة من حنان ورعاية ومشاركة أعباء الحياة، وحتى حاجتها للجنس، أليست قضية تستحق الوقوف عندها، إن المرأة الشابة التي تفقد زوجها وهي في ذروة نشاطها وشبابها، أليست تحتاج إلى زواج، وإلى متى يصمد الدين والخلق والورع أمام نوازع الشيطان والنفس الأمارة بالسوء، وأمام الذئاب المنتشرة هنا وهناك، ممن يبحثون عن فريستهم، وهل نضمن أن جميع الأرامل لهم العقول الناضجة بالشكل الكافي كي يتخلصوا من مكر الماكرين بهن .

وأما إذا انساقت وراء الأعراف غير الصحيحة في أن الأرملة يجب أن تبقى وفية لزوجها وأن لا تتزوج بعده، وهذا يجعلها في صراع رهيب بين العرف السائد وبين حاجاتها البايلوجية والنفسية، وقد ينتهي بها الحال إلى عيادات أطباء النفس أو مستشفيات الأمراض النفسية، أو لا سمح الله إلى مهاوي الرذيلة .

ويجب أن نضع حجم القضية أمام أعيننا، حيث عندنا الآن ما يقارب مليوني امرأة أرملة وأكثر من هذا العدد من النساء اللواتي هن في سن الزواج، ولا يوجد ما يقابلهم من عدد الرجال، فما الحل ؟ إن مجرد زيادة عدد النساء على الرجال يؤدي (إن لم نحسن التعامل مع الموضوع) إلى كارثة إنسانية وأخلاقية .

إن كل امرأة صالحة للزواج والإنجاب (وهي متروكة) تكون خسارة للمجتمع من ناحية التنمية البشرية، فلو افترضنا أن معدل الإنجاب عند النساء بحدود أربعة أطفال، فهذا يعني أننا نحرم المجتمع من ثمانية ملايين نسمة قد تساعد في بناء البلد مستقبلا .

إن موضوع الأرامل يستحق منا أكثر من وقفة، فإذا كان الرجل يحتاج إلى الزوجة فيبحث عنها ثم يتزوجها، فماذا تفعل الأرملة، هل تستطيع أن تخطب زوجا ؟ أم ماذا تفعل ؟ ولا يمكن أن تقدم هي الحلول بان تقدم دراسة بهذا المجال لتقول لنا يا معشر الرجال تزوجوا الأرامل ومن هن في سن الزواج . لذلك وجب علينا نحن الرجال من باب المروءة والإحسان أن ندافع عن حقوقهن في العيش عيشة كريمة، حالهن كحال أخواتهن المتزوجات .

وإذا أردنا أن نتوسع قليلا فنضيف إلى الأرامل النساء غير المتزوجات، والنساء قليلات الجمال والمال والجاه، أو من بهن عوق، فكيف سنتعامل مع المشكلة، هل نقضي عليهن بالموت وهن أحياء أم ندسهنَ في التراب، أم نقول لهن افعلن ما شئتن فلسنا نستطيع الحل، ونظرة سريعة إلى واقع مجتمعنا اليوم من بدايات

الانحلال الخلقي ولجوء بعض النساء إلى زواج المتعة أو المسيار أو غيرها من الوسائل، يؤكد لنا ضرورة الحل الشامل والسريع لهذه المشكلة .

وإن لكل زمان قدر ولكل قدر رجال ونحن رجال هذا القدر، فلا بد أن يكون الحل من الواقع ومن أبناء الجيل، فلا ننتظر الدول المانحة لتقدم لنا الحل، ولا أن ننتظر بعد أربعين عاما ليأتي جيل آخر فيقول : كان يجب أن يكون الحل كذا وكذا .

والله ﷻ ينظر إلينا كيف سنعيد البسمة إلى وجوههن، أما أن يكتفي أحدنا بواحدة ولا يريد أن يدخل في مشاكل تعدد الزوجات، ولا يريد أن ينفق من وقته ولا ماله ولا أعصابه شيئا، فهذه هي الأنانية التي يرفضها الإسلام، أنانية الرجل أنه ينعم بالراحة مع زوجته ولا يريد شيئا بعد هذا، وهذه أنانية من جهة الزوجة الأولى، حيث هي تنعم برعاية زوج لها ولأطفالها ولتذهب باقي النساء إلى الجحيم، ونحن نقول لها هل ترضين لنفسك أن تكوني أرملة متروكة بين آلاف الأرامل، أم هل ترضين هذه الحال لأختك أو لأبنتك ؟

لا شك أن الجواب سيكون كلا . والأصل في المجتمع الإسلامي أن يتكافل جميع أبنائه ويتقاسمون فيما بينهم أعباء الحياة، لا أن تنعم نساء بحياة سعيدة وتحرم الأخريات . لذلك كان على الرجال أن يجودوا بما عندهم من أموال وأوقات لرعاية الأيتام والأرامل لتعود الحياة طبيعية، والمياه إلى مجاريها والبسمة إلى وجوه الأطفال والأرامل . وقد يعترض معترض أن الزواج الثاني قد يؤثر أو قد يخرب الزواج الأول، ونحن نقول كما ذكرنا سابقا أن أخطاء البعض لا تنسحب على الباقين، وليست هي المقياس، ولكل تجربة جديدة لابد من إخفاقات، وإذا تزعم هذا الأمر بعض الرجال الملتزمين بحدود الشرع لا بد أنهم سيقدمون نموذجا جيدا لباقي المجتمع فيمكن الاقتداء بهم .

ولابد من الإشارة إلى التكافل الذي حث علية النبي ﷺ في اقتسام الطعام بين الاشعريين بالسوية، ولذلك وجب علينا أن نتقاسم همومنا بالسوية، فعَنْ أَبِي مُوسَى، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ((إِنَّ الأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي الغَزْوِ، أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ، فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ)) (البخاري، ج٣ ص١٣٨).

ب- الايجابيات :

وسنتناول الايجابيات للزوج وللزوجة الأولى وللأرملة، وإليك التفاصيل . وقبل الشروع في بيان الإيجابيات علينا أن ننظر إلى الأجر العظيم والثواب الجزيل لكافل اليتيم ولمن أسدى معروفا وأعاد البسمة إلى وجوه الأرامل .

أولا : بالنسبة للزوج فكلنا يعلم أن حاجة الرجل البايلوجية تختلف من شخص لآخر وقابلية المرأة كذلك تختلف من امرأة لأخرى، ولكن في الخط العام فإن الرجل بطبيعته يحتاج إلى أكثر من امرأة، حيث هي تتوقف عن تلبية حاجاته الخاصة بمعدل سبعة أيام في الشهر أي ما يعادل ربع الحياة الزوجية، أما إذا أضفنا لها الأشهر الأولى من الحمل والشهر الأخير والذي تكون فيه المرأة في الغالب غير مستعدة لاستقبال رغبات الزوج وكذلك فترة النفاس (بعد الولادة) . ولو جمعنا كل هذه الأمور وأضفنا لها حالات تعكر المزاج بالنسبة للزوجة من

حيث هي نفس بشرية وتتأثر بما حولها من أجواء . نجد أن الرجل عنده من الطاقة البايلوجية والنفسية ما يزيد على ما عند المرأة . فَلِمَ لَم يضعها عند امرأة أخرى بدل أن تتحول هذه الطاقة الفائضة عند الزوج إلى أسباب للخلاف مع الزوجة . والزوج الشرقي والمسلم بطبيعة الحال يريد من زوجته أن تنجب له أطفالا وأن تقوم على خدمته وخدمة أطفاله وتعتني بنفسها وبيتها وأطفالها وأن تلبي له احتياجاته الخاصة .فمتى ستنجز الزوجة كل هذا، وإذا استطاعت أن تنجز كل هذه الأمور فإنها ستتعب في سنوات زواجها الأولى، حتى إذا ما دخل الرجل في سن الخامسة والأربعين أو الخمسين (وهي سن المراهقة الثانية) نجد أن الخلافات تشتد بينهما، وحيث هي لم تعد تستطيع أن تقوم بكل ما يطلبه منها . وعندها سيقع في حيرة من أمره، أما أن يتزوج وهو في هذا العمر أو يصبر على ما عنده من مشاكل، وكان الأحرى به أن يتزوج زوجة أخرى تساعده وتساعد زوجته الأولى على تحمل أعباء الزوج والحياة على حد سواء . وكذلك فإن رغبة الزوج بعدد من الذرية قد لا تستطيع الزوجة تلبيتها، عندها سيحقق له الزواج الثاني أو الثالث ما يصبو إليه من الذرية، وأحيانا تكون الزوجة الأولى لا تستطيع أو لا ترغب بالإنجاب، فيمكن عندها أن يتحقق هذا الأمر عند الزوجة الثانية .

ويقابل حاجة الزوج البايلوجية حاجته النفسية، فليست كل النساء قادرات على تحقيق الراحة النفسية للزوج، ونرى بعض الرجال بعد الزواج يحمل مسحة من الحزن والكآبة لا تفارقه، وعند البحث والتحقيق نجد أن زوجته من النوع المتعكر المزاج (وكأنها تبحث عن المصيبة بحثا لتجد فيها ضالتها) .وهذا شيء في خلقة الإنسان أو لربما ما جرى عليها من حياة صعبة قبل الزواج، وعلى كل حال سيحقق الزوج يوما هنيئا وآخر يشاركها فيه أحزانها، وهذا أمر مهم جدا لتحقيق السعادة النفسية للزوج .

وإذا نظرنا إلى القرآن الكريم نجد أنه ابتدأ بالمثنى عندما حدد عدد الزوجات وكأنها هي الأصل ففي قوله ﷻ: (وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُواْ فِي الْيَتَامَى فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُواْ فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُواْ) (سبق تخريجها) بدا من المثنى وهذا فيه معاني منها :

١- في قوله ﷻ : (فإن خفتم ألا تعدلوا) فالفاء سببية فالأصل المثنى وفي حالة عدم تحقق العدالة فليكتفي بواحدة وهذا لأن النفس البشرية خلقت مجبولة على هذا الأمر (وهو طلب المزيد من عدد الزوجات) وإذا نظرنا إلى أحاديث الرسول ﷺوالتي تحدثت عن زوجات الجنة من الحور العين فإنه لم يذكر الحور بصورة مفردة وإنما جاءت أما بصيغة الجمع أو بصيغة المثنى كما في الحديث عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : ((إِنَّ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً، رَجُلٌ صَرَفَ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ قِبَلَ الْجَنَّةِ، وَمَثَّلَ لَهُ شَجَرَةً ذَاتَ ظِلٍّ، فَقَالَ : أَيْ رَبِّ، قَدِّمْنِي إِلَى هَذِهِ الشَّجَرَةِ أَكُونُ فِي ظِلِّهَا وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِنَحْوِ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَلَمْ يَذْكُرْ : فَيَقُولُ : يَا ابْنَ آدَمَ مَا يَصْرِينِي مِنْكَ ؟ إِلَى آخِرِ الْحَدِيثِ، وَزَادَ فِيهِ : وَيُذَكِّرُهُ اللَّهُ، سَلْ كَذَا وَكَذَا، فَإِذَا انْقَطَعَتْ بِهِ الأَمَانِيُّ، قَالَ اللَّهُ : هُوَ لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ، قَالَ : ثُمَّ يَدْخُلُ بَيْتَهُ، فَتَدْخُلُ عَلَيْهِ زَوْجَتَاهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، فَتَقُولاَنِ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَاكَ لَنَا، وَأَحْيَانَا لَكَ، قَالَ : فَيَقُولُ : مَا أُعْطِيَ أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُعْطِيتُ.) (مسلم، ج١ ص١٢٠)

٢- ولا يخفى على أحد أن كل الحضارات السابقة للإسلام واللاحقة والخارجة عن الدين، قد حققت للرجل آلية الاتصال بأكثر من امرأة سواء باعتبارها زوجة كما في الجاهلية أو الحضارات القديمة أو باعتبارها حرية شخصية وإباحية جنسية، وفي كل الأحوال حقق الرجل الاتصال بأكثر من امرأة ولم يبق اليوم إلا المسلم العفيف النظيف الملتزم بحكم الشرع، وبحكم العادات والتقاليد التي سادت عندنا في العقود الثلاث الأخيرة حيث منع نفسه من الحرام خشية الله ﷻ ومنع نفسه من تعدد الزوجات خشية من الأعراف التي سادت، وقد يكون خشية من الزوجة الأولى.

٣- إن هذه المادة الإعلامية الكبيرة والتي استطاعت أن تغير من العادات والتقاليد السائدة، لابد أن تقابلها مادة إعلامية تعيد إلى الواقع الإسلامي العادات والتقاليد الإسلامية ولا يصلح المجتمع إلا ما قرره الشارع ﷻ ولقد ظُلِمَ الرجل المسلم تحت ما يسمى بحقوق المرأة فليس له الحق قانونا بزوجة أخرى بدون موافقة المحكمة وأحيانا المحكمة تستأنس براي الزوجة الأولى، ويمنعه الشرع من تجاوز الخطوط الحمراء فلا استعمل حقه كما فعل السابقون من أسلافنا ولا تجاوز الحد كما فعل العلمانيون في بلادنا، ودعاة حقوق المرأة يسعون دائما لتحقيق الانفلات الخلقي وإشاعة الفاحشة لينعموا هم بحياة الإباحية وليس للمرأة من حقوقها إلا التمرد على ضوابط الشرع والدين، ولقد حقق الإسلام للجيل الأول من الصحابة قمة الاستقرار النفسي والعاطفي والطهر الكبير، حيث حدد لهم النساء بأربع إضافة إلى ملك اليمين فهل يتصور العاقل أن المسلم يترك نساءه الأربع وملك اليمين ليبحث عن الرذيلة، ولذلك نجد أن القرون الأولى من تاريخ الدولة الإسلامية تميزت بالطهر والعفة لأنهم استخدموا أبواب الحلال وتركوا الحرام أما أن نترك الحرام ونغلق على أنفسنا أبواب الحلال فهذا هو العنت بنفسه .

ثانيا : بالنسبة للزوجة الأولى، فإنها ستحقق بعض الإيجابيات مقابل ما ستعانيه من الغيرة من الزوجة الثانية، منها تخفيف الضغوط والأعباء التي كانت مترتبة عليها، فعندما تكون هي الزوجة الوحيدة عليها أن تكون جاهزة نفسيا وبدنيا مع ما تعانيه من أعباء المنزل والأطفال، ولا شك أنها لن تستطيع أن تفي بكل هذه الأعباء، بينما حضور الزوج إلى المنزل بين يوم وآخر يجعلها توفق بين متطلبات الزوج وبين متطلبات البيت والأطفال وكم نسمع من مشاكل تحدث بين الزوجين بسبب طلبات الزوجة المتكررة للذهاب والمبيت عند أهلها لبضعة أيام، فهي تريد أن تشارك أهلها أفراحهم وأتراحهم، أو تريد أن تنعم بالراحة من أعباء وتكاليف المنزل، والزوج يحتاج إليها ولكن لا يريد أن يفصح عن طلبه فيبدي رفضه لأسباب أخرى فتحدث المشاكل، بينما وجود الزوجة الأخرى سيخفف بل يلغي هذه المشاكل لأنه يستطيع البقاء عند الزوجة الأخرى، ويستطيع أن يلقي عليها بعض أعباء الحياة . ومع الأسف الشديد أن كثيرا من النساء يمنعن أزواجهن من الزواج من زوجة أخرى بحجة الغيرة منها. والأمر فيه شيء من التفصيل فليست الغيرة هي كل شيء وإنما هناك أشياء أخرى اختبأت تحت شعار الغيرة وهي خوف الزوجة الأولى من أن يكتشف زوجها بعض التقصيرات عندها وعجزها عن أداء بعض الأدوار فيتحول قلبه عنها إلى الزوجة الثانية، وهذا غير صحيح فلكل امرأة ايجابيات وسلبيات، صحيح

أنه قد يكتشف بعض الإيجابيات في الزوجة الثانية لا تمتلكها الزوجة الأولى إلا أنه سيكتشف سلبيات أخرى غيرها في الزوجة الثانية فيتساوى الأمر عنده . ولذلك نجد أن أكثر النساء حرصا على منع أزواجهن من الزواج بامرأة أخرى أكثرهن تقصيرا في أداء حقوق الزوج سواء على المستوى النفسي أو غيره، ولسان حالها يقول للزوج لا أريدك أن تكتشف سلبياتي وتقصيري، أو تجد عند الزوجة الثانية ما ليس عندي . بينما الزوجة التي تسمح لزوجها بالزواج أو تتساهل معه هي الزوجة التي أدت واجبها تجاه زوجها أو على الأقل قدمت له كل ما تستطيع من رعاية وعناية، ولا تخشى أن تنافسها الزوجة الثانية، ولسان حالها يقول للزوج : تزوج ما تشاء من النساء فلست أخشى أن ينافسنني على قلبك . والأهم من هذا كله أنها تنال رضا زوجها ورضا الله ﷻ بتحقيق رغبته أولا وبمساعدة المجتمع للقضاء على زيادة عدد الارامل ثانيا والقضاء على الفساد الخلقي ثالثا. وكم رأينا من قصص أزواج وزوجات نسبة الانسجام بينهم ضعيفة جدا أو انه لم يعد يرغب بها لسوء تصرفاتها فيكون بين خيارين أحلاهما مرّ أما ان يطلقها ويشرد اطفاله ويجعلهم يدفعون الثمن، أو يبقى يتجرع مرارة سوء تصرفاتها ويعيش معها غريبا عنها وكل ذنبه أنه أساء الاختيار، بينما هي لا تفكر بتعديل أو تغيير اسلوبها معه وطريقة عيشها، لا نها مطمئنة ان الزوج لا يريد ان يشرد أطفاله بالطلاق، وهنا جاءت الشريعة الإسلامية بالحل الامثل عندما سمحت له بالزواج من اخرى لعلها تخفف عنه معاناته، فما اعظم هذا الدين وما اعظم سماحته . وهنا ننظر إلى قوله ﷻ :﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (النساء: ١٩)

وأما بالنسبة للزوجة الثانية سواء كانت أرملة (وهي مقصدنا في هذا البحث) أو ممن كبر سنها ولم تعد تمتلك نضارة الشباب أو قليلة الجمال، أو المطلقة او ممن لديها عوق يدفع عنها رغبة الشباب، وكما هو معلوم أن اختيار الشاب للزوجة الاولى عادة ما يكون اختيارا دقيقا ومن المؤكد أنه لا يرغب في بداية زواجه من الاقتران بأحد الاصناف المذكورة، بينما أذا قرر أن يتزوج اخرى فلا شك أنه سيتساهل كثيرا حيث يعتقد أنه أخذ قسطا وافرا من حظوظ نفسه بالزواج الاول، فلا باس أن يكون زواجه الثاني فيه شيء من حظ الآخرة . وكلهن بهذا الزواج سيتحولن من نساء متروكات على هامش الحياة إلى زوجات وربات بيوت، ولهن أزواج يكرمونهن ويعتنون بهن ويشاركونهن أعباء الحياة، وذرية تقر بها أعينهن، حالهن كحال أقرانهن، وسيتحولن من بؤس الحياة بعدما أخذ القدر أزواجهن أو جمالهن أو فاتهن قطار الزواج، إلى نساء سعيدات يشاركن المجتمع البهجة والسرور، ويعوضن ما حصل في المجتمع من نقص في الذرية بسبب فقد الرجال دون النساء، ولا أرى هذا الأمر يحتاج إلى مزيد من التفصيل .

ولما تقدم من اسباب كانت حاجة المجتمع للقضاء على زيادة عدد النساء أمام عدد الرجال كبيرة جدا، بل انها ترقى إلى مستوى الكوارث الاجتماعية أذا ما اهملت ولم تتخذ التدابير اللازمة لها .

الخـاتـمـة

أحمد الله ﷻ على انتهائي كما حمدته في ابتدائي، وأصلي وأسلم على البشير الهادي وعلى آله واصحابه واتباعه من كل حاضر وباد.

النتائج :

فقد توصلنا إلى نتائج مهمة يمكن تحديدها في النقاط التالية :-

١. تعاني المرأة الارملة من اوضاع مادية شديدة الصعوبة ومواردها المادية تقل كثيراً عن حاجتهم الفعلية للمصرف الشهري فواجبنا مساعدتهم والقيام على امرهم .

٢. يقع على عاتق الحكومات المتعاقبة الدور الكبير لحل هذه المشكلة من خلال جملة تشريعات وقوانين تخفف من معاناتهن .

التوصيات: يوصي الباحث ببعض المقترحات:

١- دعم تشكيل جمعيات انتاجية واستهلاكية تشترك فيها النساء الارامل واطفالهن في عمر العمل بما يسهم في توفير العيش الكريم لهن ويساهم في توفير المنتجات او تصريف السلع لصالح الاقتصاد الوطني .

٢- تشريع قانون (قانون وليس تعليمات) يضمن العيش الكريم للأرامل براتب شهري مجزي ولأطفالها دون سن البلوغ وعدم قطعه عنها حتى في حالة زواجها.

Sponsorship of widows in Islam

Prof.ph.D. Anas Isam Alzaidy

Center of revival heritage

The research addressed the problem of widows that increased recently enormously. The researcher also referred to the perspective of Islam that gave a significant attention for both widows and orphans as powerless groups. Some straightforward example were presented to reflect the actual difficulties that encounter these groups as well as the author proposed number of appropriate ways that mitigate their psychological and physical sufferings such as: the provision of convenience jobs, and the legislation of rule that save their rights. Moreover, the researcher addressed the importance of marrying widows and what these challenges that encounter polygamy in Arab societies, the advantages and disadvantages of polygamy, and discussing all the social, economic, religious, and psychological issues that related to polygamy for both the previous wife and current wife.

قائمة المصادر

القرآن الكريم

١- ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق (المتوفى ٢٤٤هـ)، اصلاح المنطق، ط١ ١٤٢٣-٢٠٠٢، دار إحياء التراث العربي، ت محمد مرعب .

٢- ابن المبارك، أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، التركي ثم المرْوزي / ت ١٨١هـ الزهد والرقائق، دار الكتب العلمية – بيروت، ت: حبيب الرحمن الأعظمي.

٣- ابن بطال، ابو الحسن على بن خلف بن عبد الملك المتوفي ٤٤٩ هـ، شرح صحيح البخاري.

٤- ابن حنبل، أحمد، ط٢ ١٤٢٠هـ ، ١٩٩٩م، مسند الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة الرسالة، المحقق : شعيب الأرنؤوط وآخرون.

٥- ابن كثير ، لأمام الحافظ عماد الدين ابي الفداء اسماعيل بن كثير القرشي .

٦- أبو جيب، سعدي، ط٢ ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، القاموس الفقهي لغة واصطلاحا، دار الفكر. دمشق – سورية .

٧- الإفريقى، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى (المتوفى: ٧١١هـ)، ط٣ ١٤١٤، لسان العرب، دار صادر – بيروت.

٨- البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، ط١ ١٤٢٢هـ، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، ، دار طوق النجاة.

٩- البغدادي، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا ت٢٨١هـ، ط١ ١٩٩٠، العيال، دار ابن القيم – الدمام، ت د. نجم عبد الرحمن خلف.

١٠- حميد، صالح بن عبدالله، ط٤، د.ت، نضرة النعيم في مكارم اخلاق الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة .

١١- خالد، خالد محمد، كما تحدث الرسول، د.ت، د.مط.

١٢- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله(المتوفى: ٥٣٨هـ) ط١ ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، اساس البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ت محمد باسل عيون السود.

١٣- الزمخشري، أبوالقاسم محمود بن عمر الخوارزمي، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل، د.ت، د,مط .

١٤- الشاربي، سيد قطب إبراهيم حسين ت ١٣٨٥م -١٩٦٧، ط ١٧، في ظلال القرآن، دار الشروق – بيروت- القاهرة.

١٥- شاهد عيان،٢٠١٢ م، اطلاقة اليورانيوم من الانتاج إلى الاستخدام، دراسة عن جرائم الحرب الامريكية باستخدام اليورانيوم المنضب ضد العراق عام ١٩٩١م، المعهد العربي للدراسات الاستراتيجية .

١٦- الصَّلاَّبي، عَلي محمد ، ط٧، ٢٠٠٨ م السِّيرةُ النّبوية - عرضُ وقائع وَتحليل أحدَاث، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان.

١٧- الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي ت ٣٦٠هـ، المعجم الأوسط، دار الحرمين – القاهرة، ت طارق بن عوض الله بن محمد , عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني.

١٨- الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم، ط٢ ١٤٠٤ – ١٩٨٣، المعجم الكبير، مكتبة العلوم والحكم – الموصل، تحقيق، حمدي بن عبدالمجيد السلفي .

١٩- العزيزي، احمد بن محمد السعيد، انك خلقت للأمومة .... ولن تثنيك افواههم المسمومة.

٢٠- العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل الشافعي، فتح الباري، شرح صحيح البخاري، د.ت، دار المعرفة – بيروت.

٢١- غريب، / محمود محمد، حتى لا نخطئ فهم القرآن، د.ت، د.مط.

٢٢- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين (المتوفى: ٦٧١ هـ)، ٢٠٠٣ ، الجامع لأحكام القرآن، ، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية ت: هشام سمير البخاري .

٢٣- الموصلي، أبو يعلى أحمد بن علي بن المثُنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، (المتوفى: ٣٠٧هـ)، ط١ ١٩٨٤، مسند أبي يعلى، دار المأمون للتراث – دمشق، ت حسين سليم أسد .

٢٤- ميخائيل، كاترين، الأرامل والايتام قضية اجتماعية انسانية، مجلة الحوار المتمدن، ع: ٣٥٠٩، ٢٠١١.

٢٥- النيسابوري، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري (ت ٢٦١ هـ)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الجيل – بيروت.

من مواقع الشبكة العنكبوتية :

١. www.saaid.net

٢. www.almaany.com

٣. بقلم أ. د. ناصر احمد سنة – كاتب واكاديمي من مصر

E.mail : nasenna62@hotmail.com

٤. مهدي، محمد،ارامل العراق يحلمن بحقوقهن المسلوبة بفعل سياسات الحكومة المستبدة، تقرير خبري.